الجنة

اللي جنبنا

قصص قصيرة

مصطفى أبو العلا

بطاقة الكتاب

الجنة اللي جنبنا

مصطفى أبو العلا

قصص قصيرة

رقم الإيداع : ١٦٧٣٧/ ٢٠١٩

الطبعة الأولى

عدد الصفحات : ٩٧

تاريخ الإصدار : سبتمبر ٢٠١٩

الإخراج الفني والمراجعة اللغوية

دار وادي عبقر للطباعة والنشر

رئيس مجلس الإدارة

جابر الزهيري

المدير التنفيذي

لمياء حمدي

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف ، ولا يحق لأى دار نشر طبع و نشر و توزيع الكتاب إلا بموافقة كتابية من الكاتب و الناشر

دار وادي عبقر

للطباعة و النشر و التوزيع

بيت الإبداع .. و موطن العبقرة

wadiabkr.wixsite.com/wadiabkr

wadiabkar@gmail.com

www.facebook/ wadiabkar

www.youtube.com/ wadiabkr /

٠١١٤١٧٢٨٦٢٥

ت : ٠١١٠٠٤٧٤٥٧٥

ت : ٠١٢٢٤٩٦٩٠٤٨

ت : ٠١٢٢١٤٨١٨٥٦

إهداء

إليها رغم بعدها عني...

أهمس ....

أحاول بث روح المرح بكلماتي

علها تبتسم لي ذات يوم .....

إليها أرنو.....

ولها أكتب .....

تلك التي دومًا أبحث عن سحر نظرتها في ظلام ليل الكون المحيط بنا.

إليك يا (زهرة الباسنت)التي طالما حلمت باستنشاقها

إليك .... (حريتي)

مصطفى أبو العلا

خلفية ثقافية

ازدحمَ الطريقُ بالمارةِ، تعددتْ الوجوهُ و الأجساد، فكثيرٌ من المارين أتاهم الله بسطةً في الجسمِ والجهل، ويا حسرة على العباد عندما يجتمع الاثنان في ابن آدم.

زاغتْ عيناي تتفحص الوجوه الأنثوية تارةً، وتارة تغوصُ متأملةً خلفياتهم الثقافية المعبرة عن مكنون رغباتهم الدفينة التي وأدها غلاء المعيشة؛ مما جعل الرجالَ ينامون كالدجاج مع ساعة الغروبِ .

تذكرتُ قولَ صديقي المثقف حينما نبّهني أن كلَّ ما نراهُ "فشنك" فشعرُ القرعةِ مُستعار، وعيونُ العمشةِ "لينسز" وشفاهها التي أفنت زبد الكاكاو "منفوخةٌ" على غير هُدى، حتى الخلفية التي ألهثُ وراءها هي "مُبطنةٌ" بطبقاتٍ عدةٍ من بنطالِ خادع جعلها تسرُ الناظرين.

كانت عيناي تجرُّ قدميَّ اللتين لا تنساق إلا وراءَ معروفٍ وهُدى، فوجدت نفسي أتفيأ في ظلال أغصان البان اللواتي نزلت ثمارُ صدورهم قبل أجذاعهن لاختبار قياس أحذيتهن .

كعادتي أُعينُ ذا الحاجة؛ فانحنيتُ لمساعدة إحداهن فخفضت لي جناح الرضا؛ فأمسكتُ بالحذاء الذي ينبض أنوثةً ومن ثمَّ تلمستُ ساقيها.

فجأةً ركلتني بكلتا رجليها كحمارٍ يغارُ من اللّمس؛ فسقطتُ على الأرض محشورًا بين السرير وكومةِ الغسيل.

تحسستُ أنفي الذي غيّر اتجاهه من إثر الركلة؛ فأرجعت بصري كرتين فألفيتُ شبحَ زوجتي تنهرني: "حسبتك دابي يا منيل، و لما إنت ناوي على قلة العدل مقولتش ليه ؟".

كمحنةِ الحسين في كربلاء أصبح حالي، بعد عناءٍ أقنعتها أنني أتلوّى ألماً من المغص ولم أقصد ما دار في ذهنها (كفى الله الشر).

نامت مزمجرةً متلحّفةً بكل الغطاء، وتركتني متكوراً كقنفذٍ وليدٍ قد أُحيط به في ركن الغرفة.

وبتُّ ناقماً على كل خلفيةٍ ثقافية.

الجنّة اللي جنبنا

يا رب أنجح من غير ما أذاكر، ويا رب خلّي ماما، وكمان بابا، ويا رب ناهد "تبوسني بكرة في المدرسة ".

هكذا تمتم صغيري ذو السنوات السبع، بعد أن بحلقَ في وجهي عن قربٍ، واطمئن لنومي، فرمى سجادة صلاته، وأخذ يُصلّي صلاة لا أعرف أين تعلمها.

تبسّمتُ لدعائه وتظاهرتُ بالنوم بعد عِراكٍ معتادٍ كلّ ظهيرة مع قدري ومصدر ألمي "زوجتي".

استرقت زوجتي السمعَ، فصاحت كصياح البوم عندما رأتني أتمايل طرباً لصوت أم كلثوم.. "أغدا ألقاك" منادية على طفلها :

تعالى بسرعة يا "زفت" إن شاالله ما يطلع عليك صبح .

بتذييلها الأخير من ندائها أدركتُ أنني المقصود؛ فخفضتُ صوت أم كلثوم، ومع ذلك قطع الطفل صلاته مُلبياً:

حاضر يا ماما... ولا أعلم أهذا من بر الوالدين أم "حكم القوي".

نعقَ صوتها ملاعبةً طفلها "ماما جاية بكرة.... جاية الساعة ستة"؛ فاستعذتُ بالله مُرتجفاً بعد مكالمة هاتفية قصيرة أردفت:

"ماما زمانها جاية ... جاية بعد شوية".

انكسر فؤادي، وصاحت أم كلثوم: يا خوفَ فؤادي من غدي

مُسرعاً أدرتُ مفتاح المذياع ليرتفع صوت القارئ "وإن خفتم نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن" تحسّرتُ لعجزي، فأدرتُ المفتاح ثانيةً ليُرتلُ "واصبر على ما أصابك " فهدأ روعي.

كان طفلي قد فكَ أسره من براثنها؛ فعاد مُستغفراً ربَّه بأبجدية طفولية تُزعجُ مجامع اللغة العربية.

رفع يديه إلى السماء مناجيا ربه:

نكمّل بقى يا رب: يا رب ماما تتجوز بابا، وبابا يدخل الجنة، و ماما..... ماما... ماما تدخل برضه... بس الجنة اللي جنبنا.

مَوت

صغيرٌ أنا لا أُدرك.

ألهو بنظارةِ أبي تارةً، وبما تيسرَ من قصاصاتٍ صغيرةٍ لا أعرفُ كيف تُعدّها أمي من ملابسها تارةً أُخرى.

ذات يومٍ كسرتُ الكوبَ؛ فصاحت أمي، وضربني أبي على ظهر كفّي، فجلسُ حزيناً.

ذات صباح غاب أبي غيابا لا يعرفُ عودةً، فبكت أمي وبكين النسوة.

رسمت أختي صورتَهُ، و بخطٍ طفولي كتبتْ .... مااااات أبي.

ارتفعَ صُراخي، فكسّرتُ كل الأكواب، ومددتُ ظهر كفّي نحو صورته، في انتظار عودته.

لا تقطعي حَبْلَ الغسيل

أصرّت أن تسقطه في حبال غيّها، أدرك خُبثَ حيلتها .

قاومَ بُرهةً، ثم سقط.

قاطعته محبوبته لخيانته، حجبت كل وسائل التواصل، تتبعه عن بُعد، في حين كان هو يراقبها كل يوم من تحت حبال غسيلها، أحصى عدّها، قديمها وجديدها، صغيرها وكبيرها، ما ظهر منها وما بطن.

تأخذه نشوةٌ كلما نظر إلى شرفتها، يرفع يديه نحو السماء

فضلاً محبوبتي:

لا تقطعي

حبل

الغسيل .

ثورةُ مُغترب

جهدُ البلاء؛ كثرة العيال مع قلّة الشيء.

هكذا كان يُردد بعدَ أن ألقى بجسده جوار ساريةٍ من سواري المسجد، سرعان ما لهج لسانه: ربما حديثٌ ضعيف.

ارتفع صوت المؤذن ليوقظه من ثورته أن حي على الصلاة .

صلّى في خشوع لقدر الله.

نادى المبلّغُ : الصلاةُ على الأموات والطفل يرحمكم الله.

نزلت عبرات بللت لحيته، حمد الله، فرح بأولاده، وطاف بالبيت سبعاً، ثم أراح جسده جوار السارية من جديد.

أيقظته رسالةٌ هاتفه ... نظر في حافظةِ نقوده فوجدها عاجزةً عن الوفاء بمضمون رسالة زوجته وأولاده ؛ فرمى بجسده جوار السارية من جديد.

وعاد

إلى

ثورته.

راقصةٌ مثالية

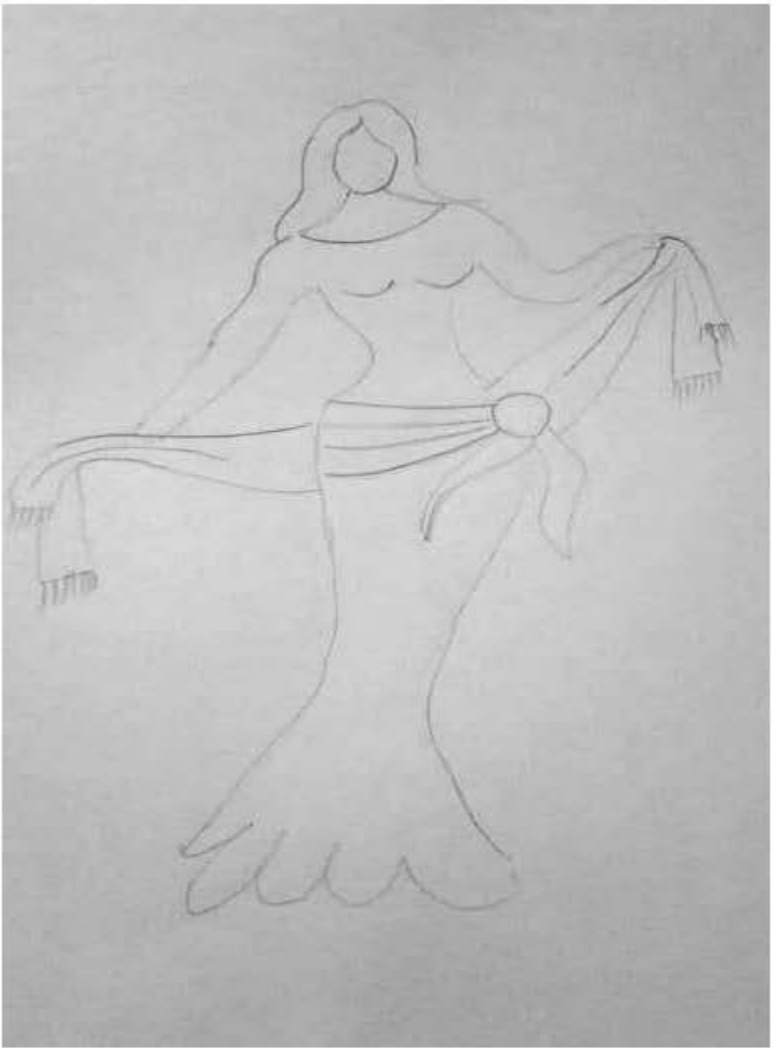

بعد عراكٍ مع الحياة طيلة نهارٍ قاسٍ ألملمُ فيه بقايا لقمة عيشٍ تتحطمُ بين رحاها كرامتي.

أبحرتُ بخاطري نحو ذكريات أمي؛ فبكيتُ، وخالط الدمعَ ابتسامةٌ بلهاء مفتعلةٌ مصحوبةٌ بآهاتٍ متصاعدةٍ من أعماقي.

لهج لساني بكلمات عبد الوهاب محمد وصوت عفاف راضي: " مصر هيّ أمي".

على نغماتها غفت عيناي، وسريعاً ما ارتجفتُ على صوت المذيع في التلفاز ينعقُ بتكريم الأم المثالية.

رفعتُ أحد جفنيَّ الّذين داهمهما النوم، فرأيت شبحاً لامرأةٍ كثيراً ما هزّت أخلاقَ شباب مصر وفتياتها.

فركتُ عينيّ ببطن كفّي، فرأيت مِداداً أسوداً يخط اسم راقصةٍ تتسلم الجائزة.

وقتها تذكرتُ أمي وسهرها وآلامها التي تبعثرت بين تجاعيد وجهها التي رسمتها أوجاع الزمن.

ندت من صدري آهةٌ دوى صوتها،

وأدركت أن سهرَ أمي

لم يكن سهراً مثالياً.

هيا بنا نخون

لدغهُ عقربُ ساعته فارتجف ليجد بضع دقائق هربت من موعده معها.

مُسرعًا انطلق إليها مُستدعياً من قواميس اللغاتِ كل كلمات الاعتذار و رشها على شفتيه، نظر إليها لاهثاً.

حبك أفقدني الإحساس بالوقت، ففقدتُ الوعيَ لذاك تأخرت.

بابتسامةٍ بلهاء أغمضت عينيها، فأرسل قبلاتِ الشوق المحبوسةِ على شفتيه لتلامس وهجاً منبعثاً من قفص شوقها، فتلاقى الحبيسان حتى ارتويا.

في نشوة اللقاء وقعت عيناه على عقرب ساعته لينبئه بهروب بعض دقائق من موعده مع معشوقته التالية،

فانطلق إليها بعد أن ترك بذوره في حرثٍ

لا يملكه.

رحلة سعيدة

"فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه"

ممتثلاً للأمر الإلهي و من قبله ضيق العيش، خرج تاركاً صغاره وأمه العجوز متجهاً إلى المحروسة علّه يجد عملاً.

انطلق إلى محطة القطار التي أنعم الاحتلالُ بها علينا منتظرًا قدوم قطار لا يعرف له موعد.

أجراسُ المزلقان تدق، الإشارات الحمراء تضاء، والحواجزُ تمنع المارة من العبور.

إذاعة المحطة الداخلية تعلن: قطار رقم ثلاثة سبعة واحد المتجه إلى القاهرة.

قبل أن يرتدَّ إليه طرفه مرقَ القطارُ أمام عينيه مُزلزلاً الأرض بعد أن أهال على رأسه غبار الوطن.

رمى جسمه الهزيل مُسنداً رأسه على حقيبته المهترئة التي بدأت تلفظ بعضا من ملابسه الداخلية من بين شقوقها.

أدخل رأسه بين ركبتيه من أثر بردٍ قارسٍ جعل أذنيه منتصبتان كأرنبٍ بري مطارد.

دق الناقوسُ ثانية؛ وارتفعت الإشارات الحمراء وأنزلت الحواجز، وأعلنت الإذاعة الداخلية قدوم قطار ثلاثة سبعة اثنين.

من بُعدٍ أطلق القطار صافرته التي أصمّت الآذان، رفع رأسه مفزوعاً فارتطم وجهه بسورٍ حديدي عتيق، أسال الدم من رأسه، لم يعبأ بجرحه.

عبثًا يحاول أن يراه ولكنه مرق قبل أن يقوم من مقامه، عاد ليدفن رأسه فارتفعت الإذاعة: قطار ثلاثة سبعة ثلاثة، و على غير العادة سار القطار بطيئاً فسمح له أن يتفحص عرباته البرونزية بوشاحها الأحمر والإنارة الزاهية، وزجاج بلوري شفافٍ ومقاعد أشبه بالأسرّة مملوءة بأجسام مدهونة بالزيت لامعة، ونساء ملونة بيضاء غضة.

دار في ذهنه أن أصل خلقة هؤلاء النسوة هو دقيق فاخر مُزج بحليبٍ وعسلٍ مصفّى، أما نساءنا فمن دقيق لا يُعرف مصدره مخلوط بماءٍ آسن.

كانت يداه معلقتين يتمسح عربات القطار كحاج يتبرك بستار الكعبة.

انطلقت الصافرة فهرع مذعوراً نحو حقيبته، ليجدها قد بقرت بطنها مجموعة من قطط الفقراء التي اشتمت منها رائحة العفن من قطع جبنٍ قديمٍ كان قد دسَّه في باطن حظيرته شهوراً أربعة حتى صار "كالمُهل يغلي في البطون".

في ذات الوقت سمع أنيناً لقطارٍ صافرته كمواء القط المريض، بنوره الخافت وقف بعيداً قبل أن يدخل المحطة.

هرع الجميع إليه يهرولون فوق القضبان تقطع أرجلهم قطعٌ صخريةٌ مدببةٌ، وتمزق ملابسهم أسلاك مشدودة.

ظلام دامس داخل العربات التي استحالت لقبور متحركة، تلمّس درجات حديدية بكلتا رجليه ممسكًا بفمه ما تبقى من حقيبته ليبدأ رحلة رأي فيها ما لا يسر الأعين.

قليل البخت يعضه الكلب في أكتّه

أعشقُ القاهرة في مثل هذا الوقت، فالليل يلملم بقاياه تاركاً شوارع المدينة لميلاد نهارٍ جديد.

الشوارع هادئة والناس نيامٌ في أسرّتهم، والطرقات خالية من المارة إلا ما تيسر من مجاذيب مدينتنا الذين أعياهم العقل؛ فصاروا إلى ما صاروا إليه.

بين الحين والآخر كانت تمرق أمام عينيَّ سياراتٌ فارهة لسادات مدينتنا متكومين في مقاعدهم الخلفية، وبطونهم المكتنزة كأجولةِ القطن المنقوش بعد انتهائهم من عملٍ يجمع بين المتعة والإرهاق.

رؤوس سادتنا ثقيلة، تدور بهم، وعيونهم منفوخة من أثر فحصٍ متكررٍ لقرارات وقرارات تصبُ في مصلحة المواطنين، وبالطبع المواطنات.

من جحورهم بدأ يتسلل عجائز الحي متلفّحين أغطيتهم قاصدين صلاة الفجر.

انطلق بائع الجرائد يحوقل ويسبّح ربه متوجهًا إلى ناحية الشارع ليزيح الستار عن كتبٍ راجت تجارتها للسحر والكرة والفن وأهله، وأخرى لا خوف عليها متروكة في العراء، تراكم عليها غبار الطريق تحمل صورًا لابن خلدون والفرابي والغزالي وأفلاطون وغيرهم .

نحو مذياع صغير مد يده ليعطر الشيخ الحصري الفضاء بقرآن الصباح قبل أن تتلوث المدينة بضجيج البشر، دسست في كفه جنيهين وأخذت الأهرام رمز فخارنا، فوجدتها تعلن في صدر صفحاتها عن آلاف فرص العمل لمصانع الغزل، رغم عدم وجود مصانع في مدينتنا، ولا حتى قطن يغزل.

قلّبت الصفحات فأضحكتني حكمة مفادها:

تموت الحرة ولا تأكل بثدييها، فالتمست العذر لأجدادنا العرب، فلم يكونوا على معرفةٍ بالعديد من الفنانات والراقصات.

صفحة الحوادث يحدث مباحث الأداب معلنة سقوط آخر شبكة للدعارة في القاهرة، فندبت حظّي وتذكرت المثل القائل: جات الحزينة تفرح.

وقبل أن تقع عيناىّ على مربع (حظك اليوم) طربت أذناىّ بصوتٍ رخيمٍ ينادي من سيارة ثقلٌ أنثى بلورية: يا.....

التفت يمينًا ويسارًا، فأشارت إلى إحدى المجلات، فهرولت حاملاً المجلة إليها.

شكرتني بسلامٍ ذي مغزى جنسي، ثم أردفت بابتسامةٍ هي الجنس ذاته، قررت أن أرد التحية بأحسن منها.

وقبل أن يرتد إليّ طرفي قفز كلب حراستها من زجاج الباب الخلفي لسيارتها، فانكفأت على وجهي بعد أن مزّق الجيوب الخلفية لبنطالي.

حينئذ بدأ مربع الحظ جليا تحت وجهي.

(قليل البخت يعضه الكلب في ال ..... حتّه)

مجذوب

متدثرًا بما أفاءت عليه بلاده من بقايا غطاء ورداء رقيق لا يستر إلا الجزء العلوي من جسده.

تكوّر بجانب مدخل لمحطة قطار الأنفاق.

أشرت إليه رافعًا يدي بالسلام إتقاء جنونه الساكن في هدأة الليل، رفع رأسه بعد عناء وبصق عليّ، ابتسمت راضيًا، أصدر همهة أن تعالى إليّ.

اقتربت منه حذراً، جلست بين يديه، دسست في كفه قطعة معدنية فئة الخمسين قرشًا.

هز رأسه يمينًا ويسارًا فزدته قطعتين، أطاح القطع الثلاثة في الهواء، ثم استقبلها بكفه واضعًا إياها على الأرض، فقلت : كتابة.

رفع يديه، فظهر الملك، سالت عينيه دمعاً.

رفعها ثانية وغطاها بكفه فقلت : كتابة، فظهر الملك.

أخرج من دثاره لفافة رسم عليها مجازيب عدة ثم طواها على القطع الثلاثة ثم دسها في كفي، وبصق عليّ مشيراً أن أنصرف؛

فانصرفت.

منين الكفالة يا سيد..؟؟

حديث عهدٍ هو بهذا المبنى الرهيب، لم يلفت انتباهه هدوء الشارع أمامه وخلوّه من السيارات والمارة.

لذا مشيّ مطمئناً يتغنّى : " مصر هي أمي ".

بصوتٍ حادٍ نهره أحد أفراد الحراسة محذراً إياه من السير أمام هذا المبنى مرةً أخرى.

كان هذا التحذير مصحوباً بسيمفونية سبابٍ من الحراس مقسمين له (بعرض أمه) والذي لا يحنثون إذا حلفوا به.

امتثل للأوامر محافظاً على العهد، وصوناً لعرض أمه وسلامته.

كل إنسان يمكن أن يكون سافلاً إذا تغيرت ظروفه، مقولة بدأ يعمل بها عندما ضاقت به سُبل الحياة.

من مقر هذا المبنى الذي طالما كان يُخيفه، قرر أن يبدأ عمله الجديد.

أوقف سيارته التي تحمل بعض أجهزة التكييف وسط الحراسة المشددة، وبخطىً ثابتة جمع كل الأجهزة من المكاتب الفاخرة لإصلاحها، واعداً سيد المبنى بإعادتها في يومٍ واحد.

استبطأ سيد المبنى عودته، أحد المعاونين حاول أن يلهمه الصبر بقوله: اللي خلى (يوم الحكومة بسنة) ولنا فيها القدوة والأسوة.

فارتسمت أثار غضب السيد على مؤخرة المساعد .

وبسرعة رفع سماعة هاتفه، فأنبأته رئاسته بأنها لم ترسل عمالاً لإصلاح تلك الأجهزة، أقسم سيد المبنى أن تدفع المدينة كلها ثمن الأجهزة، فأعلن النفير داخل وخارج المدينة.

وقبل طلوع الشمس كانت غرفات المبنى المظلمة مكتظة بالفقراء، يعصر كل منهم زناد فقره ويسأل بعضهم بعضًا:

منين نجيب

الكفالة يا سيد...؟؟

خازوق

رفع يديه إلى السماء بعد صلاة الفجر داعيًا المولى أن يكون نبأ زيادة راتبه نبأ صدق.

استجمع من بطون أمهات الكتب الدينية أسماء الله الحسنى واسمه الأعظم الذي إذا دعيّ به أجاب؛ فاليوم سيتم إقرار زيادة الرواتب.

ارتدى ملابسه بأناقة غير معهودة، وبنفسٍ راضيةٍ شاركته زوجته وأولاده، ومن طرفٍ خفي نقم عليه العديد من الجيران.

انطلق نحو عمله قبل الموعد؛ وعلى غير عادةٍ مازح طلابه بابتسامةٍ عريضةٍ؛ فأحس أنه قد ولد من جديد.

جرائد الصباح تعلن زيادة طفيفة في أسعار المحروقات، وأنباء عن زيادةٍ أخرى في أسعار الدواء، ومثلها في فواتير المياه والكهرباء.

هزّ رأسه في عجبٍ: لا بأس، فاليوم زيادة مرجوّة.

نفض من رأسه (دراما باهتة) كثيراً ما أظهرته أضحوكةً أمام مجتمعه، فتساقطت أمام عينيه صور مدرسة المشاغبين، والبيضة والحجر، وأبو العلمين حمودة و وطأها بقدمه، فاليوم يوم إنصافه.

كان النهار قد انتصف ومذيعة الأخبار قد شقّت صدرها عن عمدٍ لتقرأ نشرة الأخبار، استبشر خيراً بنهرها الخالد الذي ظهر جليّاً بين ضفافٍ مضطربة.

:الحكومة تعلن عدم إقرار الزيادة المرتقبة لعجز الميزانية.

تلاشى نهرها الخالد من أمام عينيه، وارتسم مكانه مسلة الفراعنة ، تدور حولها حماماتٌ سودٌ تغنّي :

أستاذ حمام .... نحن الزغاليل

نحن الزغاليل

فخلع ملابسه ورفرف مثلهم مرددًا:

من غير جناح ..... بنميل ونطير

بنميل ونطير

حتى استقر جالسًا على قمة المسلة.

البند (أ)

تنهّد عاليًا ، فارتفع صدره شهيقًا وزفيرًا متحسرًا من أثر الخصخصة التى جعلته عاطلاً.

بعجبٍ شديد يستمع إلى أحد المسئولين في التلفاز تارة، وتصريحات على صفحات الجرائد عن فرص العمل تارة أخرى.

واسته زوجته - ممسكة بما تبقّى من ضفائر شعرها تداعب أذنيه - :

(حِسّك في البيت بالدنيا يا أخويا).

نظر إليها في يأس.

أردفت في تدللٍ ومكر : والحكومة هاتعمل إيه؟ ما الشعب كتر، والرجالة مش همدانة.

نكأت جرحه الغائر، فازداد يأسًا وخاصة بعدما عرضت عليه قائمة مصروفات الشهر الجديد، فعجز الميزانية يتزايد، وبنود القائمة تطول.

همس في أذنيها في خجلٍ بأن تتحمل معه تقشف هذا الشهر بحذف بند (أ) من قائمة المتطلبات الشهرية والذي يشير إلى تلك الحبوب التي جعلت (الرجالة مش همدانة) على حد قولها.

ارتجف فؤادها،

وجحظت عيناها

وارتفع حاجباها رافضة حذف هذا البند صائحة:

:كله إلا البند (أ)؛ فهذا البند يصب في المصلحة.

وأمسكت القائمة وحذفت بنداً أخر (أطقم شتوية جديدة للعيال).

نظر إليها متوسلاً : العيال والبرد يا ولية ؟

صرخت في وجهه : يا خويا هو القديم اشتكى ؟؟

مصرع " Regaal "

جلس يلهو بجوار صغيره أمام شاشة تلفاز محطة أجنبية، أطل منها قارئ الأخبار بعد أن اتشح بملابس حدادٍ سوداء، وبوجهٍ يملؤه الحزن معلناً:

نبأ مصرع الكلب " Regaal" إثر تعرضه لحادث سير لم تسعفه بالقدر الكافي مستشفيات رعاية الحيوان.

أردف المذيع

: إقالة مدير المستشفى ومسئول المرور في منطقة الحادث.

كعادته لا يحب الأخبار الحزينة ولا حتى المحطات الأجنبية.

أشار لصغيره بتحويل المحطة، فإذا بقارئة أخبار الوطن قد شقت عن صدرها ليعلن كل جزء في جسدها عن استقلاله

تردد:

انهيار عقار بالأسكندرية مكون من واحد وعشرين طابقًا؛

وحريق في قطار الصعيد؛

وغرق إحدى عبارات بورسعيد؛

وبحسب مصادر مسئولة لم يصب أحد بسوء.

فانتفض راقصا رقصة الديك المذبوح مع صغيره يغني:

قوم نادي ع الصعيدي

و ابن أخوه البورسعيدي

اللمة دي لمة .....

خاف أن يكمل

فسقط مغشيًا عليه.

دعاء الركوب

تحسستُ شعر رأسي ولحيتي؛ فوجدتهما يستحقان التهذيب؛ فانطلقت إلى (صالون الحلاقة) الواقع على رأس حارتنا.

كان الباب مغلقاً، وتدلّت من مقبضه لافتةٌ أنيقةٌ "مغلق للصلاة".

شعرت بالطمأنينة، وانتظرت واقفًا حتى قضيت الصلاة.

بوجهٍ خاشع وعيونٍ ناظرةٍ إلى الأرض أقبل شابٌ يرتدي ملابس أفغانية، وبصوتٍ خافتٍ كأنه البكاء ألقى السلام فرددته.

وضع المفتاح في الباب مردداً (وعنده مفاتح الغيب).

أزاح الباب؛ وبذوق راق أشار إليّ بالدخول متمتماً (و أصحاب اليمين ما أصحاب اليمين).

جلست على كرسي الحلاقة، وبهدوءٍ ممل لفَّ منديلاً ورقياً حول عنقي مردداً: (اللهم اعتق رقابنا من النار)، ثم لفني بقطعة قماش بيضاء وكأنها الكفن ناظرًا إليّ: (ثياب أهل الجنة) فشكرته مبتسمًا.

أمسك بالمقص، وراح يجول في رأسي متمتماً: (واقصص القصص) ففزعت مندهشاً لجهله والتفت بوجهي ناصحًا إياه؛ فأصابني بمقصه؛ فسال الدم، فردد: (يخرج من بين فرث و دم لبنًا خالصًا).

اشطّتُ غضبًا بلا جدوى، فتركته يسعى في رأسي ذهابًا وإيابًا متجاهلاً حلاقة لحيتي بعد أن أقنعني أن حلق اللحية يخلد صاحبه في النار.

أنهى عمله كيفما أراد فابتسم مرددًا (وجوه يومئذ ناعمة).

استجابة للافتة المعلقة أمام كرسي الحلاقة (الأجرة قبل أن تقوم من مقامك)؛ أخرجت الأجرة من جيبي ودسستها في جيبه كعاداتنا مع كل الحلاقين؛ فأخرجها من جيبه متفحصاً ومستقلاً لها وقال : (هل من مزيد) فزدته.

نزلت من كرسيه واتجهت ناحية صنبور مياه تجمعت حوله جراثيم العالم كتب فوقه (وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا).

عند خروجي وكنوع من الدعاية أشار بيديه من النافذة نحو صالون نسائي يمتلكه تعلوه لافتةٌ (وزيناها للناظرين).

نظرت إليه متجهمًا فبادلني ابتسامة صفراء وقدم لي لافتة ملونة بلونِ نسائي كهدية ناصحًا إياي أن أعلقها في غرفة نومي.

فتحت اللافتة فوجدت (دعاء الركوب).

تحسست لحيتي المحرم حلقها،

وأخرجت عود ثقاب،

وأشعلت لحيته نارًا؛

ثم بكيت.

تأشيرة خروج

عقدان من الزمن قضاهما مغتربًا، تردد كثيرًا في العودة.

حسم أمره، لملم أوراقه، أنهى أعماله، خفق قلبه أملا وعشقًا لوطنه.

أبحرت السفينة حتى وصلت أرض الوطن، دار بصره في الأفق، احتضن بفؤاده كل جنبات الوطن.

فجأة راعه منظر الآن البشر يتقاطرون نحو السفينة استعدادًا للهجرة.

اندهش لرغبتهم.

وضع حقيبته بجواره وخرّ ساجدًا مقبّلاً أرض الوطن، رفع رأسه فلم يجد الحقيبة، ارتجف قلبه خوفًا، أيقن خيبة أمله فأسرع ليلحق بالسفينة مع المتقاطرين نحوها.

نادى الحراس : إرهابي هارب.

صار سجينًا، رفع يديه إلى السماء مناجيًا ربه بتأشيرة خروج.

خرّ ساجدًا،

وخرجت تأشيرته

إلى الأبد.

رسام وكاهن ومغن

سدَّ عجائز قريتنا مداخل الحارات، افترشن التراب وتوسدن أحجار الطرقات.

تدثرن بعباءة الشمس لتدفئ ما تبقى من أجسادهن التي أنهكها الزمن.

ألقيت السلام على ثلتهم، فأشرن إليّ، اقتربت منهن، مازحتهن فلم تنفرج أساريرهن.

تحت جدار متهالك تكومت عجوز منهن، نظرت إليها فوضعت يدها على رأسي ثم بكت.

مددت يدي لأمسح دمعها فغدا الدمع حصياتٍ ثلاث، ارتجف قلبي الذي مات منذ زمنٍ بين أضلعي.

أمسكت العجوز الحصيات ورجتها في باطن كفها، ثم ألقتها على الأرض متفحصة إياها فزاد نحيبها، ثم دسستها في جيبي.

بيديها اليابستين أشارت نحو غرفة مظلمة، فاتجهت نحوها، فوجدت رسامًا أعمى يرسم وجه الوطن، وكاهنًا ثملاً يرتل آياته، ومغنٍ أصمٍ يهتز يمنة ويسرة ويتمايل طربًا:

بلادي ..... بلادي

تذكرت حصيات العجوز الثلاث، فرجمت ثلاثتهم فاحترقوا، وثار غبار رمادهم في الفضاء.

ظهر وجه الوطن في الأفق وسط الغبار مختنقًا يحيطه

رسامٌ ....

وكاهنٌ .....

ومغني .

فعل فاضح

العرق المالح يملأ عينيه، تجاعيده الثمانية تزداد عبوساً، أشعة الظهيرة تذيب الأسفلت، وأبواق السيارات تصم أذنيه، ودخانها يعكّر الأفق .

تخير ظلاً قليلاً بجوار "كشك" السجائر الذي يبتاع منه جرائده.

تفحّص الجرائد التي لم يبع منها شيئا، وتذكّر أيامه الخوالي حينما كان يصيح : اقرأ الحادثاااااااااة

فعل فاضح في طريق عامٍ، فيهرول إليه الرجال لاهثين بألسنتهم، وتنكفئ النساء بقصد أو بغير قصد على وجوههن في الزحام _ ليعلم ما خفى من زينتهن _ أملاً في الحصول على نسخة من الفعل الفاضح.

أفاق من ذكرياته، هب واقفًا، اتكأ على عكازه، نفض التراب العالق بجلبابه البالي، انطلق نحو الإشارة الحمراء.

يقفز بعكازه بين السيارات الفارهة صارخًا: اقرأ الحادثاااااة

(فعل فاضح في طريق عام) تتعالى آلات التنبيه.

يصيح ثانية : اقرأ الحادثاااااااااة

فتحت إحدى السيارات نوافذها المعتمة، انجذب نحو الهواء البارد المتسرّب من النافذة، صاحت من بداخلها وهي تلملم بقايا صدرها (وانت مالك يا سافل).

صرخ بأعلى صوته مشيراً إليها

: اقرأ الحادثاااااة فعل فاضح في طريق عام.

فتحت كل النوافذ وفاحت عطور نسوية مختلطة بعطور ذكورية تنهره:

وإنت مالك يا سافل.

ألقى رجال الآداب القبض عليه، وجردوه من ملابسه.

في الصباح نعقت الصحف : اقرأ الحادثة

القبض على مختل عقليًا متلبسًا بفعلٍ فاضح في طريق عام.

واجب وطني

جلس بين زملائه في فناء المدرسة مندهشاً راثياً حالهم و وجومهم الذي كسى تلك الوجوه .

أمسك كل منهم مسبحته، وأخذ يحوقل ويستغفر راجياً ربه ألا يصاب بالواجب الوطني المنتظر.

إدارة التعليم تهاتف مدير المدرسة؛ تميله أسماء المعلمين المنشدين لأعمال امتحانات الثانوية العامة (الواجب الوطني).

هرول الجميع نحو المدير الذي تدلّى كرشه أمامه، رافعاً كفه اليسرى منتشياً ينزل الخنصر مناديا: الأستاذ فلان، ثم البنصر: الأستاذ فلان، ثم الوسطى يهزه قليلا : الأستاذ فلان، إلى أن أنهى أصابع كفه.

ارتفعت الأصوات واختلفت ما بين تحميد وحوقلة وحسبنة.

وجم الأربعة المنوطون بالواجب الوطني أمام خامسهم فقد انتشى فرحاً بالتكليف: لا حرج عليه، فهو حديث عهدٍ لا يزال.

صلّى فجر ربه، ارتدى ملابسه، انطلق مسرعاً، طال انتظاره لسيارة تقلّه لمحطة القطار .

أرسلت الشمس أشعتها من وراء الجبل، انفلت الرعاة بأغنامهم من مشارف القرية، ثار غبارهم فملأ حلقه وعينيه ، وانطفأ لمعان حذائه الذي عاف في تلميعه.

ماله بدّ مكن امتطاء إحدى عربات "الكارو" لهؤلاء الرعاة، تكوّم فوق إحداها بجوار أغراضهم وما صغر من نعاجهم التي أصابها الهزال.

أصابه ما تيسر من روث "جدي" صغيرٍ يئن من مرضه بجواره، تأفف ونظر إليه في غضب، وبعينين كليلتين ناعستين ألقى الجدي رأسه على فخذ صاحبنا وناااام.

عند مدخل المدينة أنزله الرعاة، هرول نحو المحطة ناظراً في ساعة معصمه لعله يلحق القطار.

على الرصيف تكدّست وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة، فهذا هو حال الواجمين المرابطين المنتظرين قطار الصعيد الذي لا يعرف له موعد.

صفير مبحوح أعلن عن قدوم قطار ركاب كسيح كحال منتظريه، تسارع القوم، اشتد الصراخ أمام بقايا أبوابه المتهالكة، تصارع النازلون والراكبون وامتزجت النساء بالرجال ليردد ذو لحية من بعد: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزًا عظيمًا.

لم يجد صاحبنا موضع قدم، تراجع للوراء، نهره أحد الراكبين :اركب يا افندي (مصر هي أمي)

فارتمى داخله، تلقفته أحضان وحجور أخوته لأمه ليتنسم روائح عرقهم المالح تارة وينعم بلكمات ودهس أرجلهم تارة أخرى، وبحركات خفيّة مريبة تارات أخر.

خبى القطار قليلاً، وسرعان ما ينبطح للقطارات الفاخرة التي تقل مخلوقات لامعة الوجوه متجهة لواجب وطني من نوع أخر.

يئن قطاره ثانية، يزحف كجريح أعياه التعب في الصحراء، تستوقفه كل قرية ونجع، أو حمار يمر أمامه يحمل فوق ظهره حمارًا من بني البشر.

بعد عناء وصل إلى مقر لجنته، نهره رئيسه، توعده بما أفاء الله عليه من قبيح الكلم.

لملم بقايا قميصه، وحشره في بنطاله، وقف في لجنته بين اليقظة والمنام، فنهره رئيسه مرة ثانية، وفجأة ابتسم

في وجهه وكأنه تذكر شيئًا، فجره من يديه وأقعده في إحدى اللجان الخاصة التي أعددت خصيصًا لأبناء أصحاب القطارات الفاخرة فنااااااام.

وقتئذ لم ينهره رئيسه.

انطلق إلى استراحة مزعومة لم يجد فيها ما يسد رمقه ولا ما يروي ظمأه، خلع بنطاله وقميصه وتوسدهما على مرتبة إسفنجية معارة من المستشفى العام بُقرت جميع جوانبها، استلقى على بطنه وهو سقيم.

مرّت أيامه عجاف ودار الزمن دورته، وحان موعد الواجب الوطني من جديد كل عام.

تجمّع المعلمون حول مدير المدرسة يسبّحون ويستغفرون رافعين أيديهم إلى السماء للنجاة.

غاب صاحبنا عن مجلسهم، تسربت لأنوفهم روائح بخور منبعثة من داخل أحد الفصول، اتجهوا نحو مصدر البخور، وجدوه ممسكًا بمسبحة طويلة، وعلى رأسه عمامة ذات ألوان، يدور يمنة و يسرة ، يصفق في الهواء مناديًا:

يا خفيّ الألطاف ... نجنا مما نخاف

ويطلق البخور.

ماما... أنا جيت إزاي ؟؟

رمق الصغير أمه خارجة من غرفة نومها، منفرجة أساريرها، ملبية مطالب الأب الذي تركته مُستلقيًا على ظهره فوق سريره كأنه "سي السيد".

اندهش الصغير لسرّ الغرفة الكبير الذي - دومًا - ما يصلح ما يفسده شجارهما اليومي إذا ما دخلوها.

سأل الصغير أمه:

ماما .. أنا جيت إزاي ؟

مبتسمة ومشيرة إلى بطنها، قالت:

إنت جيت من البيضة يا حبيبي

انطلق الصغير نحو طبق البيض يكسر واحدة تلو الأخرى علّه يجد صغيراً مثله يلاعبه.

كبر الصغير، واستمر شجار الوالدين ليل نهار.

لسبب ولغير سبب

عندئذ أيقن أن الغرفة ذات السرّ الكبير لم تعد قادرة على إصلاح شجارهما،

و أن بيض الغرفة

قد فسد.

_ توفير ١٠٠ ألف فرصة عمل في مصانع الغزل.

ابتسم متهكمًا : طب دا مافيش قطن أصلاً !!

واصل قراءته:

_ خطة طموحة للخروج من عنق الزجاجة.

_ حدث في مثل هذا اليوم .. الشعب يخرج للإدلاء بصوته في انتخابات حرة نزيهة.

تعالت ضحكاته ساخراً.

التهب قفاه من إثر لسعةٍ ناريةٍ من مخبر المقهى فانكفأ على الطاولة ليقرأ في جريدته.

حظك اليوم : استضافة لك في مكان غير معلوم.

جرّه المخبر من قفاه، رفع بصره نحو لافتة المقهى، وفاضت عيناه، تذكر مقولة محمود ياسين لمديحة كامل في فيلم "الصعود إلى الهاوية" :

هي دي مصر يا عبلة.

والقبور أيضًا ... تثور

رائحة الموت تتسلل لتفسد ما فاءت به المزارع المحيطة بالمقابر من نسمات عليلة.

على مشارف الطريق الرئيسي ارتفعت قبور سادة القوم، كل مقبرةٍ تعلوها لافتة رخامية تفيض بالرحمة والغفران جزاء ما قدّم المغفور له من ظلم وفساد.

قبور سادتنا شوارعها واسعة، وأفنيتها فسيحة، تكسو أبوابها ورود القرنفل والياسمين، تظللها الأشجار، وتحيطها أعواد الصبّار، يقول مشايخنا :

إنها تستغفر لهم .

يفترش سادة الموتى رملٌ ناعمٌ أبيضٌ عجمي، ويتوسدون الحنّاء، وعطور أكفانهم فرنسية الإيحاء.

على مد البصر تلفح وجهك رياح السموم، وروائح كريهة منبعثة من بقايا قبور متهدمة لفقراء القوم.

تحيطها مقالب النفايات وبقايا الزجاج المكسور، وللوصول إليها لا مفر من دهسها بالنعال فلا طرقات بين تلك المقابر.

أطفال النجع المجاور يقضون حاجتهم فوقها، وأحالوها مرابطا للحمير والبهائم، صغار الماعز يتقافز فوق تلك المقابر ليتقاطر بعرها وما تيسر من بولها من شقوق القبور ليستقر في جماجم الفقراء.

إناث كلاب النجع حريصات على الستر، فتشابكن مع ذكورهن داخل المقابر التي تهدّمت على رؤوس أصحابها.

عند الليل يهرول فقراء المقابر نحو سادتهم ينظفون مقابرهم وشوارعهم، ويجلسون تحت أقدامهم في انتظار أوامرهم ، تاركين قبورهم آنئذ لقطاع الطرق ولاعبي القمار ومن تيسر من العاهرات اللواتي ضاقت بهن بيوت العهر لقضاء حاجتهن.

في مطلع الفجر يعود كل فقير إلى مقبرته يجر بعضهم بعضًا، فذا أعرج وذاك كسيح، وثالث مفقوء العين يتأبط أعمى، ورابع مكسور الظهر يتوكأ على مسروق الأعضاء.

تتعالى دعواتهم بتعجيل العذاب الوعود لسادتهم

ذات مساء اختنق فيه القمر، صاحت ديكة النجع في وجه الظلام؛ فثارت ثورة الفقراء، هبّوا معترضين، كل خرج من أجداثه، اقتحموا القبور الفارهة، وقيّدوا أصحابها و ألقوا بهم في مقابرهم القديمة.

استبشر الفقراء بسكنى المقابر الفارهة بدلا من سادة القوم.

و فجأة ؛

زمجرت السماء لتلبّي دعوة الفقراء القديمة، فاستعرت المقابر الفارهة ناراً والفقراء بداخلها؛

فصاروا

رمادًا

تذروه

الرياح.

عباسية

دائمًا ما كان ينظر إليها من نوافذ "أتوبيس" النقل العام المهشّمة وهو يمر أمام أبوابها العالية.

يتأمل أشجارها العتيقة التي استظل بها عشرات الآلاف من المصريين الذين أعملوا عقولهم، يرتفع صوت العديد من ركاب الأتوبيس ناظرين نحوها "اكرمنا بيها يا رب".

كثيرًا ما يجادل زملاءه مدافعًا عن حكومة الوطن وفساد المفسدين، فالحكومة بريئة والشعب مُدان.

نعته زملاؤه بالمجنون الواجب أن يعالج في العباسية.

يمرّ أتوبيس الهيئة ذهابًا وإيابًا أمام المستشفى العتيقة، فيضيق صدره متذكرًا نصيحة زملائه.

شهر "يوليو" على الأبواب، والسنة المالية تلملم فسادها.

صحافة الوطن تهيئ الفقراء لارتفاعات الأسعار للصب في مصلحتهم، ومؤسسات الحكومة تنتفض استعدادا للجرد السنوي فتزدحم نشرات الأخبار بحريق هائل في مصنع الغزل ومثله في صوامع الغلال وثالث في مزارع الدواجن، ورابع في محطات البترول ، وخامس ... وسادس ....

كالببغاء يردد السبب ماس كهربائي، والفاعل مجهول كما قال المسئولون.

ضاق زملاؤه من فكره، أقسم على صواب تفكيره بحياة نجله الذي هو بين يديّ لجنة القبول والقدرات لإحدى الوظائف المرموقة (الآن) وبالطبع لن يحنث عسى الله أن يوفق النجل جزاء صدق أبيه.

عاد لمنزله، سمع بكاء زوجته، وقهرٌ يحيط أولاده، أدرك إخفاق نجله الذي فشل في أن يجيب على أسئلة القدرات التي تمثلت في مطلبين اثنين:

_ كم ثديًا في أنثى الكلب مع وصف ترتيب الأثداء ؟

_ قلّد صوت بكاء الكلب الذي ماتت كلبته من ساعة وربع ؟

أدرك حقيقة الأمر،

قرر أن يأخذ بنصيحة زملائه.

ركب أتوبيس الهيئة المهشمة نوافذه،

نزل أمام بوابات المستشفى العتيقة،

مقررًا الدخول

ولكنه

وجدها

تحترق.

أطم

تجمّع الصبية حول الصغير، كل يمسح دمعته بكلمات طفولية تواسيه.

أخيراً؛ أقنعوه بلعب الكرة معهم، فاستجمع بقاياه الحزينة.

تزايد صياح لعبهم ساعة الظهيرة وقت نوم آبائهم، خرج الآباء يكفّونهم عن اللعب؛ فصياحهم أيقظهم من سباتهم.

تهلل وجه الصغير بشراً، توسل إلى زملائه ليكملوا اللعب في الساحة الواسعة أمام قبر أبيه؛

عسى صياحهم

أن يوقظ أباه

من سباته.

أمل وعمر....قولي ورايا !!!

في عتمة الليل يتحلق ثلاثتنا حول أبينا، نفترش الأرض، ويتراقص حولنا ضوء "لمبة الجاز" إثر هواءٍ خفيفٍ قد تسرب من بابنا الخشبي المطل على حارتنا الطويلة النحيفة.

يحين وقت القراءة؛ ففي ذلك الزمن لم يكن مصطلح المذاكرة متداولاً أو معروفًا.

يتظاهر أخي الأكبر بالقراءة مردداً كلمات غريبة غير مرتبة ولا تمت للعربية ولا للتعليم بصلة، على إثرها عرفت حينما كبرت لماذا خرجنا من التصنيف العالمي في التعليم.

بحسه الفطري أدرك أبي نوم أخي الأكبر وبلادته ، فأنعم عليه بكفٍّ على قفاه طرحه أرضًا مع سيمفونية من السب واللعن، فطار فاراً إلى حيث لا ندري.

تملكني الخوف، فأمسكت بالمصحف وأخذت أجوّد مقلدًا مشايخنا في الأزهر، فهدأ روع أبي.

صغيرتنا لم تكن أوفر حظاً في القراءة من أخي الأكبر، ولكن ارتعاد فرائصها ونظراتها الطفولية لأمها كانت تنقذها من عذابات محاولة القراءة.

ساعة غياب الأب كان أخي الأكبر يمارس دوره ويقرؤنا رغم جهله بالقراءة.

خوفًا، أتظاهر بجهلي أمام علمه الغزير، فيمسك بصغيرتنا ويشير عشوائيًا في الكتاب إلى حيث ما تقع يداه، فتردد الصغيرة ما يقول كالببغاء ودموعها تسيل على خديها.

كتاب القراءة الموسوم وقتئذ بـ "أمل وعمر" لا يعرف أخي منه سوى هاتين الكلمتين.

نظر إلى صغيرتنا يقرض أنيابه مقرنًا إياها:

أمل فتردد: أمل

عمر فتردد: عمر

يزداد غضبًا:

أمل وعمر قولي ورايا

فتردد المسكينة في هلع :

أمل و عمر قولي ورايا

تعالت ضحكاتي المكبوتة بداخلي

وازداد بكاؤها

وتنبأت

بمستقبله

فأضحى

شرطيًا

مرموقا.

مافيش عنوان

أدخلت الفئران ذيلها بين فخذيها منكّسة رأسها، شاكرة ربها على الفقر وسوء الحال.

تتقافز القرود حول ملك الغابة، ويباركون ظلمه، بعد طوافهم بعرينه سبعًا.

سحرة الغابة يخرجون على الملأ ليل نهار يظهرون رأفة الملك بالفقراء، ويعلنون وعوده الكاذبة.

أكواخ جديدة، طرقٌ ممهدةٌ، عدلٌ ومساواةٌ، وماء نقي لن يلوثه الذئاب في أعالي الغابة.

استبطأ الفئران الوعد، وطحن الفقر رؤوسهم، رفعوا أصواتهم بالقرب من العرين، خرج الملك، في جوعه

مبتسماً، أيقن الهدهد الغدر؛ فنصحهم بالسكوت، حاولوا السكوت فعجزوا

فهم فقراء

والسكوت

من

ذهب.

قراطيس مقلوبة

رمى جسده المنهك داخل أحد المقاهي في قلب ميدان التحرير، اختلطت أصوات الباعة بأصوات السيارات، مع دقات عجلات المترو الذي يطفح سيلاً من البشر يخرجون من أنفاقه.

يتذكر ذلك المسئول الكبير الذي سخر من تقدمه لإحدى الوظائف المرموقة ممسكًا بشهادته التي أحاله إلى قرطاسٍ مدببٍ مقلوبٍ متهكمًا و مرددًا:

خد شهادتك.

رفع عينيه نحو الأفق مستتراً بكفه من ضوء الشمس، يتأمّل مجمّع التحرير الذي أنشأته الحكومة نكاية في المواطنين، وليدوخ فيه المصريون من فلاحين وصعايدة "دوخة العجوزة في يوم العروسة".

عالم آخر يخرج لسانه في وجه مجمع التحرير من الناحية المقابلة حيث الجامعة الأمريكية ومجلس النواب "بالباء المعجمة وليس الميم".

أغرقه التفكير في دوامة المقارنة بين الجانبين.

أحسّ ببرودة تداعب باطن قدمه بعدما كانتا تغليان من إثر سيره طيلة نهارٍ صيفي قاسٍ بحثاً عن عملٍ بعد حصوله على شهادته العليا.

نظر نحو قدميه فلم يجد حذاءه، وأصبعه الأكبر يطل من جوربه بحثًا عنه.

أشفق على عقله من كثرة التفكير الذي غيبه حتى عن الإحساس بسرقة الحذاء.

كجلسة "محمد علي باشا" وسط مماليكه تكوم صاحب المقهى بجلبابه الفضفاض، وكركرة الشيشة في يده، ورنين القطع المعدنية المتوالية في صندوقه تشعل قلب صاحبنا؛ خاصة بعد أن عرض عليه أن يعمل عنده صبياً في المقهى لما رأي من خبرته وكثرة شهاداته.

أخرج شهاداته يلفّها بكلتا يديه صانعًا منها قراطيس مدببة يتأملها بضحكٍ حزين.

شجار لصوص المقهى قد حان الآن.

بشهامته القروية التي لم تغسلها المدينة بعد، حاول فض الاشتباك.

اشتدَّ لهيب العراك فأحس ببرودة تتسلل نحو فخذيه، تحسس بنطاله بكلتا يديه من الخلف فلم يجد حافظة نقوده.

لم يجد بدّاً من الجلوس على مقعده ليستر ما فضح من مؤخرته.

ما كاد أن يلامس المقعد حتى وخزته قراطيس شهاداته المدببة.

هب واقفًا لينعم بالمزيد من الهواء البارد

المتسلل

إلى فخذيه.

وسوسة ذكورية

أحكم ربط جروح قدميه النازفتين من إثر المسامير والزلط الملقى في طريقه نزولاً وصعوداً وهو كالحمار يحمل تلال الرمال والجير.

أنهى عمله مبكرًا في تلك القرية السياحية المزمع استكمال بنائها .

قفز داخل إحدى الخزانات المعطلة ممسكاً بخرطوم المياه ليُنزلَ من على جسده ورأسه طبقات الرمل والجير المتراكم عليه.

ارتدى جلبابه البالي وانطلق نحو البحر يجر في حذائه المهترئ لينعم برؤية الكائنات البشرية التي رضي الله عنها على الشاطئ.

البحر يبتلع قرص الشمس ساعة الغروب، وهواء عليل يداعب وجهه اليابس الصدئ، أمواج البحر تزأر غاضبة لرؤيته.

أحيا سُنّةً مهجورةً بتأمله في بديع صنع الله من خلال الأجساد الأنثوية البلورية الرائحة والغادية على الشاطئ.

بابتسامةٍ ذات مغزى دسّت إحداهن في كفيه قطعًا معدنية، واغرورقت عيناها عطفًا عليه .

وسوس إليه فهمه الذكوري تحرشًا لا تقصده، فبادلها بقهقهةٍ بلهاء هي المغزى نفسه.

سال لعابه وخرج لسانه لاهثًا يحوم حولها من بُعد.

تجمّع حوله عدد من المصطافين والمصطافات يلقون في حِجره قطعاً معدنية مماثلة تارة ومما أفاء الله عليهم من بقايا أطعمتهم تارة أخرى.

دوت صافرت الإنذار،

وقبل أن يرتدّ إليه طرفه كانت سيارة الشرطة التي تجمع الكلاب الضالة من على الشاطئ ومن تبقّى من المتسوّلين فوق رأسه.

ألقوه في سيارتهم.

وخزته جروح قدميه النازفة،

فأفاق من وسوسته الذكورية، وعاد كالحمار صعوداً ونزولاً بين تلال الرمل والجير من جديد.

الحاوي

أقسمت عليك يا ساكن هذا المكان، حيّة أو عقرب أو ثعبان أن تأتي زاحفاً بقدرة المنان، تخالف تموت بإذن الحي الذي لا يموت.

حي .... حي.

هكذا صاح ضاربا بعصاه، فأطلق الثعبان صفيره، ففررتُ مفزوعاً أرقبه من بُعد.

ألقى الحاوي بجسده أرضاً ثم هبّ واقفا، فإذا بـ "كوبرا" بين يديه سمعت فحيحها مخرجة لسانها المشقوق فزاد فزعي.

عجبت من وجود تلك الثعابين السامة في بيتي الكائن في حي راق، ويفوق تعقيمه غرف العمليات في المشافي الحكومية.

أعطيته مقابلاً نقدياً مرتفعاً؛ فأحسَّ بسذاجتي؛ فعرض عليّ أن يعلمني القسم السفلي الذي عن طريقه أتمكّن من أي أفعي أو على الأقل أصرفها بعيدًا.

رضختُ لعرضه خوفًا منه؛

أمسك أذني بإحدى يديه يردد في همس:

اللهم اطمس بطلسم بسم الله الرحمن الرحيم ودقَّ أعناق الظلمة والظالمين بسيوف سطوتك ... حي ... حي

وكانت يده الأخرى تنثر حبات الشيح في وجهي، فأخرجت الحافظة وأعطيته ما تبقّى، وانصرف .

ارتميتُ على كرسي وثيرٍ أشاهد التلفاز، فوجدتُ الحيّات تجوس خلال الدار، ففركتُ عينيّ ونفضتُ رأسي مستعيذاً بالله.

جلدتُ ذاتي مِراراً ندماً على ما فعلت.

عدتُ إلى مشاهدة التلفاز ثانية فوجدت رجلاً يشبهه ينفث أخباراً:

انخفاض معدلات البطالة والتضخم، والقضاء على الفقر والجهل، وارتفاع العملة المحلية وكذلك سقف الحرية والتعبير.

أحضرت حبات الشيح ونثرتها في وجهه مردداً القسم السفلي الذي تعلمته:

اللهم اطمس بطلسم بسم الله الرحمن الرحيم،

ودق أعناق الظلمة والظالمين ...

حي .....

حي

انصرف

انصرف

فلم ينصرف.

بكاء

كثر نحيبه، عاف طعامه وشرابه، صار النوم خصيمه، تزايدت أسئلته عن سر دفنها في التراب.

أخبروه بأن أمه ماتت، باتت في جنات ربها، تساءل عن سر دفنها

قالوا: من التراب وإليه نعود.

ينزوي الصغير في ركنٍ قصي من البيت، عند كل فجر يصب على التراب ماءً، يحيله صلصالاً، ينحت ملامح أمه عليه، يجهد نفسه نافخًا فيما صنع، يرفع كفيه البريئتين إلى السماء متضرعًا

عل أمه تعود من جديد.

الحساب عند مين ؟؟

نظر إليّ مبتسمًا من وراء جريدته التي رفعها نحو وجهه ممسكًا إياها بالمقلوب.

بادلته الابتسام، فأشار إليّ أن تعال، تركت مقعدي وحملت ما تبقّى من كوب الشاي في يميني، والشيشة بحجرها الذي تتطاير منه الشرر في يساري وجلست لديه.

رغم أناقته أخرج لسانه محركًا إياه في الهواء، ثم أشار إلى عامل المقهى بأن يأتي لنا بأفخر وأغلى الطعام من المطعم المجاور.

حمدت ربي، وشكرته بعد أن ملأت معدتي.

ارتجفت، فأزال خوفي بقوله: (الحساب كله عندي).

يشعر بالفقراء أمثالي - رغم يساره - هكذا أخبرني ووعدني بأنه سيطالب في الغد وتحت قبة البرلمان بحقوقنا السياسية والاجتماعية، زادت نشوتي، أمسك جريدته ثانية بالمقلوب يتأملها وتتعالى ضحكاته، ثم رماها أرضًا وفر هاربًا.

أمسكت جريدته، وجدت صورته معنونة بـ: (هارب من مستشفى العباسية) فازددت خوفًا.

ناديت صاحب المطعم في خنوع ليعفو عن حسابه، هز رأسه ساخرًا

الحساب عندي يا ابن ال.....

أصابني بلل أعلم منبعه

وما زال يصيبني كلما تذكرت الحساب.

حب - كُره

صغير كان، طيّع العقل، قلبه مضطرب، أخبره شيخه أن الحب حرام.

كبر،

أحب،

فكره شيخه.

توبة

استغفر ربه، عزم الصلاح والتوبة، أخرجها من ساحات تفكيره.

توضأ، تردد قليلا قبل توبته، دق هاتفه يعلن اسمها على شاشته، نسي عزمه.

فنقض وضوءه.

حاء بين ألفين

انفرجت أساريره عندما علا بصره قارئًا اللافتة التي تعلو هذا المبنى المهيب الذي لم تطأه أقدامه من ذي قبل.

تشجّع للدخول، خفق قلبه، قدّم رجلاً وأخّر أخرى.

صوت جهوري أجش أمره بالتوقف، كائن من فصيلة بشرية جذبه من مؤخرة عنقه، تفحص هويته بحده، أكاليل الغضب والعبوس تعلوا جبهته، من قواميس اللغات تخير أقبحها ثم أشاح إليه بالدخول، شكره على حسن الاستقبال.

فناء واسع، هدوء مزعج ومخيف، تحسس جرحه النازف من هذا البلطجي الذي اعتدى عليه.

(نوبتجية) أشار السهم إلى تلك الكلمة فاتجه نحوها، بهو واسع، في أقصاه قفص حديدي كبير، يطل من ورائه وجوه كوجوه البشر ألفة جبرية تجمعهم بواسطة تلك السلاسل

التي صفدوا بها، كل منهم رسمت على ملامحه أنياب الدهر المفترسة.

في ركن هادئ امرأة ذات جمال بملامح قاسية، وملبس أنيق مثير، دخان سيجارتها يغطي وجهها، ويداعب شعرها المتطاير، بحلق النظر إليها، وبمغري جنسي أشارت إليه، تساءل أني يكون هذا في هذا المكان، اقترب منها، مقيدة من شعرها، اصطنع ابتسامة، صرخ في وجهه فجأة :

- انت عايز إيه يا .....أمك ؟ غور من هنا بدل ما أقوم .....

أجهد فكره كيف لامرأة أن تهدده بما يختص به الذكور؟

سرعان ما تبددت دهشته عندما تذكر أقوال أصدقائه عن تتبادل الأدوار بين المحبوسين .. فهم بالفرار حفاظًا على ذكوريته.

ألهب قفاه بكفه ذو الحجم العائلي مرددًا.

رايح فين يا ابن المجرمين؟ وسحبه من قفاه نحو ثلاثة رجال غلاظ شداد.

ألقى السلام على ثلاثتهم مرتجفًا من أثر البلل الذي أصاب حتى جوربه، لم يردوا سلامه، أردف وجرحه ما زال ينزف:

أنا غلطان في حق سيدي البلطجي فسامحوني يا سادة، بس بلاش تحبسوني، أنا جيت هنا غلط.

تعالت ضحكاتهم مرددين:

ارموه في الحبس.

فصرخ بأعلى صوته ناعيًا ذكوريته مرددًا:

(أ – ح – ا)

نزاهة

صاح الديك في وجه الظلام مبشرًا بقدوم فجر جديد.

أيقظ الدجاج من رقادهم، نق الدجاج مع بزوغ شمس لم يكتمل شروقها بعد.

اضطرب الملك، أغرى الديك بالإمارة وقصر مشيد.

ازداد صياح الديك وسط الدجاج معلنا رشوة الملك، علا نقيق الدجاج تمجيدًا للديك ونزاهته.

فكر الملك مليًا، زاد قليلا من حبات القمح لدجاج الحظيرة، فتلاشت لافتتات التمجيد، ضجت ساحات الحظائر احتفالا بمنحة الملك.

في حين كان الديك معصوب العينين يتلى؛

فوق رأسه

منطوق الإعدام.

لنا الله

مكبرات الصوت تصدح أعلى المآذن، قمت متكاسلاً، حريص أنا على ألا أنام والإمام يخطب، لذا انطلقت إلى الجمعة قبل نزول الإمام من على منبره.

جلست كالعادة عند مدخل باب المسجد حيث المتأخرين مثلي، فصرت و المارين في الشارع من أمام المسجد في مرمى بصر الإمام فوق منبره.

أنظر نحو الإمام تارة، وأنعم بالنظر نحو المارين ومن حسنت من المارات أمام المسجد تارات أخرى.

ارتجف قلبي لصوت الشيخ (لنا الله)، أفق من غفوتي مستغفرًا.

يعاود الشيخ حديثه عن غض البصر من ورقته المعدة سلفًا.

متأفقًا استبطأت إقامة الصلاة، يصيح الشيخ ثانية ناظرًا نحو مدخل المسجد (لنا الله).

تظاهرت بالخشوع والخضوع متمتمًا بعبارات التقوى والورع.

ازدادت دهشتي لتكرار تلك العبارة من ذلك الشيخ.

عطر أنثوي يتسرب إلى مدخل المسجد من إثر إحدى القوارير اللواتي أخفين وجوههن وأبدعن في إظهار مفاتن مؤخراتهن، رددت في نفسي: لوجهها الجنة ولمؤخرتها جهنم أما نحن.

عندئذ علا صوت الشيخ؛

وسهام بصره تعيد تقسيم هندسة جسدها:

لنا الله.

لنا الله.

الجسر

طوال لعبه يشاكس أترابه ومن يكبرونه سنًا، يتوعدهم لمنازلته وعراكه بعد الظهر فوق الجسر عند مشارف القرية.

يحذره الصغار من الوشاية به عند أبيه، يرتجف قليلاً، يتذكر رأفة أبيه بعد العقاب المقرر عليه، فيتمادى في وعيد أترابه، يستأسد، يفرون من أمامه.

عند الظهر يصارع من تسول لهم أنفسهم ملاقاته عند مشارف القرية، فيصرعهم.

يعود إلى حمى والده مستعدًا لعقابه، و فرحًا برأفته.

ذات ظهيرة كُسفت فيها الشمس، نعق صوت الناعي بموت أبيه.

حمل المشيعون أباه، انطلقوا نحو المقابر، تربص به أترابه فوق الجسر، توارى بين المشيعين يحتمي بنعش أبيه.

في ظهيرة اليوم التالي، صوت المؤذن معلنًا زحف الأتراب نحو الجسر لعراك جديد.

عبر الطرق الخلفية في جنبات القرية، والمدقات الملتوية في المزارع نحو قبر أبيه متحاشيًا المرور بالجسر.

احتضن القبر بعينيه والدموع تغسل وجنتيه الغضتين، أنهكه التعب والبكاء، أسند رأسه نحو الباب، أخذته سنة من النوم.

بقايا نداء المؤذن المتسرب من فوق مآذن القرية عند العصر، يتسلل في جنبات القبور، يوقظه من غفوته، معلنًا نهاية عراك الجسر.

ينهض والألم يعتصر صدره الصغير، يسلك طرقا نحو القرية أشد التواءً، يرقد بين إخوته الصغار في انتظار خوف جديد؛

بعد سقوط الجسر.

كُتّاب

تحلّق حوله طلابه يتلو كل منهم ما تيسر له.

تتعالى أصواتهم بالشكوى، فذا يقرأ "إن البقر تشابه علينا"، مشيرًا إلى زملائه.

وذاك يرد: "وخامسهم كلبهم"، واضعًا يده على زميله.

صاح الشيخ يعلمهم الأدب مع القرآن،أنهى درسه.

انطلق نحو الشارع قاصدًا بيته، تمايلت أمامه فاتنة تمسك بذراع رفيقها؛ فصاح (ياليت لنا مثل ما أوتي قارون).

فرد رفيقها بخبث:(وزيناها للناظرين).

فتمادى الشيخ في غيه؛ فدنا رفيقها منه وجعله هشيمًا تذروه الرياح.

قنافذ

زاد شجارهما كل مساء لمن يكن لها نصيب الليلة.

ضاق ذرعا بهما، لم تفلح كل محاولاته للتوفيق بينهما.

عرض شكواه على ندمائه.

قال عفريت منهم : الطلاق لهما حلاً.

وقال الذي عنده علم بطبيعتهن : التهديد بالزواج عليهن.

وقتئذ نسيتا خلافهما، وتعانقتا،

ولكن كعناق القنافذ.

وفاء

عشرون عامًا قد ولّت، ولا يعرف أين حطت رحالها.

يصطحب ابنته إلى جامعتها، والتي كان يلتقي فيها مع محبوبته قديما.

تعود الذكريات به إلى مخيلتها.

لامه أصدقاؤه لكثرة ترديد اسمها على شفتيه.

أقسم لهم أنه قد نسيها.

بات مكلومًا من شدة عتاب من حوله.

قرر الأطباء إجراء عملية جراحية عاجلة له في القلب.

في غرفة الإفاقة؛ وجدوه يهذي باسمها.

وجع

قررت محو كل أثر له بعد خيانته لها وزواجه من غيرها.

مزقت كل رسائله، لم تمش يوما في طريق مشيا فيه،

أحرقت كل هدياه، حذفت رقم هاتفه

لكنها أبدا لم تنس يومًا؛ أنها قد نسيته.

إغاثة

امتلأ رصيف القطار بشرًا، وقفت بين زميلاتها، يفوح عبيرها، تأسر بمفاتنها – حتى - ذوي الإربة من الرجال.

خرجت الطيور من محبسها، تنقر في قطع الجبن الذي كن يحملنه ريفيات القرية فوق رؤوسهن لبيعه في السوق، فهن مشدوهات نحو جمالها فصرن كنسوة يوسف.

أصابها الدوار، سقطت أرضا، طار البشر لنجدتها.

صاح ذو لحية كثيفة بوجوب إغاثة الملهوف؛ لذا ظفر بها بعد أن دهس في طريقه إحدى عجائز الريف ليحتضنها القطار بين عجلاته، وهو مازال في نشوة إغاثة الحسناء.

خشوع

لبى نداء ربه حين سمع أن حي على الصلاة، لم يطمئن كثيرا لأداء صلاته،

(ادفع جنيه) قالت اللافتة المكتوبة فوق رأس امرأة لا تشبه النساء من بعيد، أخبرها بوضوئه و ليس قضاء حاجته.

أسمعته مقولة تعاقب عليها شرطة الآداب.

أسلم أمره وخرج محوقلاً ومستغفرًا ليقرأ اللافتة تنصحه بوضع حذاءه أمامه ففعل، فصارت الأحذية وما صاحبها من أمتعة المصلين كجثث من الموتى أمامهم.

عيناه معلقتان بحذائه، أطال الإمام السجود فلم يجدوا أمتعتهم، هاموا على وجوههم بحثًا بلا جدوى في حين كان الإمام ينظر إليهم في ابتسام.

عودة

كان اليأس قد تسرب إلى قلبه، أعاد ترتيب أوراقه من جديد، عزم على العودة من حيث أتى.

ذات صباح أفاءت عليه بنظرة عابرة استقرت سهامها في فؤاده.

توجع ألمًا وإشفاقا على هذا القلب الذي وقع في براثنها، قرر الاستقرار في محراب عينيها؛ عابدًا في صمت دفين.

يخفق قلبه لرؤياها، يهدأ قليلا في انتظار لقاء جديد.

بين أمل وأمل، يأس ورجاء ،أصاب الوهن قلبه.

قرر الاطباء استبدال مصدر الألم، شقوا صدره فوجدوها قد ارتسمت في كل جوانبه؛ فقرروا عدم الجدوى من الدواء.

السيرة الذاتية للمؤلف

الاسم : مصطفى محمود حسن أبو العلا

اسم الشهرة : مصطفى أبو العلا

المؤهل العلمي : ليسانس اللغة العربية جامعة الأزهر

باحث ماجيستير (المخطوطات وتحقيق التراث العربي)

سكرتير نادي أدب أبوقرقاص

محكم بمسابقات وزارة الشباب مجال السرد

مشارك بالمؤتمرات الدولية بمصر و السعودية

فاز بالمركز الثاني جمهورية عن القصة القصيرة عن مديريات الشباب و الرياضة ١٩٩٦

فاز بالمركز الأول على مستوى اللمملكة العربية السعودية في مجال القصة القصيرة ٢٠١٤

فاز بالمركز الثاني جمهورية في مجال بحوث القرية المصرية عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

أذيعت له حوارات و لقاءات بالتلفزيون و الإذاعة

نشرت له بعض أعماله بالجرائد و المجلات المختلفة

نشر له عن الهيئة العامة لقصور الثقافة ضمن مشروع النشر الإقليمي مجموعة الضحك في الممنوع

له تحت الطبع مجموعة قصصية بعنوان " الضرب في الميت حلال "

الفهرس

بطاقة الكتاب ٢

إهداء ٢

خلفية ثقافية ٤

الجنّة اللي جنبنا ٧

مَوت ١٠

لا تقطعي حَبْلَ الغسيل ١١

ثورةُ مُغترب ١٢

راقصة مثالية ١٤

هيا بنا نخون ١٦

رحلة سعيدة ١٨

قليل البخت يعضه الكلب في الحتّة ٢١

مجذوب ٢٤

منين الكفالة يا سيد..؟؟ ٢٦

خازوق ٢٨

البند (أ) ٣٠
مصرع " Regaal " ٣٢
دعاء الركوب ٣٤
تأشيرة خروج ٣٧
رسام وكاهن ومغن ٣٩
فعل فاضح ٤١
واجب وطني ٤٣
ماما... أنا جيت إزاي ؟؟ ٤٧
هي دي مصر يا عبلة ٤٩
والقبور أيضًا... تثور ٥١
عباسية ٥٤
ألم ٥٧
أمل وعمر....قولي ورايا !!! ٥٨
مافيش ٦١
قراطيس مقلوبة ٦٣
وسوسة ذكورية ٦٦
الحاوي ٦٩

بكاء ٧٢
الحساب عند مين ؟؟ ٧٣
حب ـ كُره ٧٥
توبة ٧٦
حاء بين ألفين ٧٧
نزاهة ٨٠
لنا الله ٨١
الجسر ٨٣
كُتّاب ٨٥
قنافذ ٨٦
وفاء ٨٧
وجع ٨٨
إغاثة ٨٩
خشوع ٩٠
عودة ٩١
السيرة الذاتية للمؤلف ٩٣